قوله ولعرف الخبر وان يدل على اختصاص المنزل وتميزه عن غير المنزل بكونه حقا دون غير المنزل من المعقول
ان اختصاص الحق في الحكم المنزل من عند الله يستلزم ان لا يكون الاحكام الثابتة بالقياس ونحوه من الادلة الشرعية
على الحق والصواب لان المنزل من عند الله اعم من الحكم المنزل صريحا كالاحكام الثابتة بصريح نص القران ومن الحكم
المنزل ضمنا كالذي يثبت بالسنة والاجماع والقياس فان الحكم المثبت بواحد منها وان لم يثبت بنص
القران لكنه يثبت به ضمنا من حيث كونه اصلا يستند اليه كل واحد من الادلة الشرعية ...
بحسب اتباع كل واحد منها ويقرر حجيتها الى الامام ومن الناس من عند ... والذي انزل
اليك من ربك الحق في نفي القياس فتعال الحكم المستنبط بالقياس غير نازل من عند الله واذا
كان كذلك وجب ان لا يكون حقا لان قوله تعالى والذي انزل اليك من ربك الحق يقتضي انحصار
الحق في المنزل من عند الله وانه لا حق الا ما انزل الله فكل ما لم ينزل الله وجب ان يكون حقا واذا لم
يكن وجب ان يكون باطلا لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ثم قال ويبتنى الكلي القياسيون عنه
بان الحكم المثبت بالقياس نازل اليهم من عند الله لانه لما امر العمل بالقياس كان الحكم الذي يدل عليه القياس
نازلا من عند الله انتهى ثم انه لما ذكر ان المنزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الحق بين ان اكثر الناس لا يؤمنون
به ويكون منزلا من عند الله على سبيل الزجر والتهديد ثم ذكر عقيبه ما يدل على صحة التوحيد والمعاد وهو قوله
الذي رفع السموات بغير عمد ترونها اي انشاءها مرفوعة لا انها كانت موضوعة فرفعها وهو كقولهم جعلها في
الابتداء مرفوعة كما تقول للخياط وسع كم القميص وللحافر ضيق فم البئر ودلالته على التوحيد ظاهر
فانه لا يقدر على رفع سقف فيه سعة وبعد بغير عمد لا ترى الا الواحد القهار القادر على كل شيء
واما دلالته على المعاد فلان من قدر على رفع السماء مع سعتها وبعدها بلا عمد ترى لقادر على اعادة
الخلق واحيائهم بعد الموت بل رفع السماء مع سعتها وبعدها بلا عمد اكبر من اعادة البنى بعد فنائه
اذ في الشاهد من قد يقدر على اعادة ما فني ولا يقدر على رفع سقف في سعة وبعد بغير عمد قوله
او عمود كاديم وادم ... جعل ... ان يجمع على فعل بفتحتين وفيه بحث لان كل وزن له خصوصية
تختص بها فلا يلزم من جمع فعيل على فعل ان يجمع فعول ... وان ورد على فعلتين يكون مفرده
عمادا نحو كتاب وكتب وشهاب وشهب وقوله بغير عمد في محل النصب على انه حال من السموات اي رفعها
خالية عن عمد وترونها في محل الجر على انه صفة لعمد فيكون الضمير المنصوب فيه راجعا الى عمد
والمعنى رفعها خالية عن عمد مرئية وانتفاء العمد المرئية يحتمل ان يكون لانتفاء العمد والرؤية جميعا
اي لا عمد لها فلا ترى ويحتمل ان يكون لانتفاء فقط بان يكون لها عمد غير مرئي وهو القدرة فانه يمسكها
مرفوعة فكانه عمادها وقوله بغير عمد مرئية معنى بعمد غير مرئية فكلمة النفي وان كانت مقدمة في الذكر فهي متاخرة في المعنى ولكونها
مرفوعة بعماد غير مرئي مثل كونها مرفوعة بغير عماد اصلا في كون ذلك الرفع حجة على ... رفع السماء بغير عمد

والاجماع حقا فيلزم ان يكون باطلة لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال فيلزم ان لا يكون القياس حقا

عملا واساطين مرئية ونظير الاية في الاحتمالين قولك ما رايت رجلا صالحا فانه يحتمل ان
يكون لانتفاء الرجل والصلاح جميعا او لانتفاء الصلاح وحده قوله او استئناف للاستشهاد فان
الضمير المنصوب في ترونها على تقدير ان يرجع الى السموات يكون ترونها كلاما مستانفا لا محل لها من الاعراب
كانه قيل ما الدليل على ان السموات مرفوعة بغير عمد فاجيب بانكم ترونها غير معمودة او مرفوعة بلا عمد فاستشهد
على كونها مرفوعة بغير عمد برؤية الناس اياها كذلك قوله وهو دليل على وجود الصانع ووجه دلالته
عليه ان ارتفاعها على سائر الاجسام ليس مقتضى جسميتها ولا مقتضى ذوات احيازها والا لكان كل
جسم كذلك ولا مقتضى خصوصيتها النوعية لانا ننقل الكلام الى اختصاصها بتلك الخصوصية
والنوع واختصاصها بها ليس لاجل جسميتها والا لكان جميع الاجسام كذلك فتعين ان يكون المخصص خارجيا
ولا بد ان لا يكون ذلك المخصص الخارجي جسما او جسمانيا والا لكان له حيز تشغله بذاته او بتبعية موضوعه
ويمتنع ان يكون حصوله في ذلك الحيز مقتضى ذاته او ذوات حيزه لما بينا ان الاجسام والاحياز متساوية في
تمام الماهية فلا بد ان يكون ذلك المخصص فاعلا مختارا يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته قوله
بالحفظ والتدبير اشارة الى ان الاستواء على العرش عبارة عن الاستيلاء على الملك والتصرف فيما رفعه
بلا عمد بناء على ان العرش في اللغة سرير الملك فصح ان يجعل الاستيلاء عليه كناية عن نفاذ الامر والتدبير
كيف يشاء والظاهر ان كلمة ثم لمجرد العطف والترتيب مع قطع النظر عن معنى التراخي لان الاستيلاء ...
على التصرف فيما رفعه ليس بمتراخ عن رفعه ويحتمل ان يحمل لمجرد العطف مع قطع النظر عن ترتيب ايضا
بناء على ان يراد بالملك مطلق التصرف فان الاستيلاء على الملك مطلقا غير مرتب على رفع السموات قال الامام المراد
استواء على عالم الاجسام بالقهر والقدرة والتدبير يعني ان ما هو كائن من فوق العرش الى ما تحت الثرى في حفظه
وتدبيره وفي الاحتياج اليه قوله وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الايات الدالة على وجود الصانع الحكيم
فانه كما استدل عليه اولا باحوال السموات وباحوال الشمس والقمر وباحوال الارض وباحوال النبات
استدل عليه اولا باحوال السموات حيث قال الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها وبين وجه دلالتها عليه
وثانيا باحوال الشمس والقمر حيث قال وسخر الشمس والقمر فان اختصاصها بالحركة الدائمة على وجه مخصوص من البطء
والسرعة ونسق معين دون السكون ودون الحركة على سائر الوجوه مع كون الاجسام متماثلة لا بد له من
مخصص الى اخر ما ذكر سابقا ثم انه لما قرر الدلائل السماوية اردفها بتقرير الدلائل الارضية فقال وهو الذي
مد الارض اي انشاها ممدودة لا انها مجتمعة في مكان فبسطها وهو كقولهم رفع السماء ونحوه ووجه
الاستدلال بامتداد الارض كونها ممدودة اي ذات امتداد من الطول والعرض والعمق على قدر معين مع جواز كونها
ازيد مقدارا او انقص منه لا بد من مخصص لها قال ابو بكر الاصم المد هو البسط الى ما لا يدرك البصر منتهاه فقوله
... لو جعل حجم الارض حجما عظيما لا يقع البصر على منتهاه ... لما امكن ... الاستمتاع

Copyright © King Saud University